

الجمعة 7 رجب 1442 الموافق 19 فبراير 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

مفهوم الحب في ميزان الشرع

عباد الله:

إن كلمة حُب تتكون من حرفين إثنيين، وهما: الحاء والباء، وهي في ديننا الحنيف تعني شيئاً كبيراً، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه لا توجد أمة من الأمم، ولا دين على وجه الأرض يحث أبناءه على المحبة والتآلف كدين الإسلام، وهذا في كل وقت وحين، لا في يوم بعينه، وحث الإسلام على إظهار هذا الحب والتعبير عنه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمَهُ إِيَّاهُ» (رواه الترمذي عن المقدم بن معدي كرب).

وعن مُعَاذِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ، ثُمَّ أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْيِي عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ» (رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح) وإذا أخبرك أيها المسلم أحد بحبه لك فقل في الجواب له: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ، كما ورد في الخبر عن المصطفى. ومن الغلط الفاضح والمُنكر العظيم الفاحش، ربط الحب بالمعاني الساقطة، والعلاقات المُحرمة، وحصره في ميل الذكر للأنثى ميل شهوة وحاجة فحسب، إذ ذاك لا يعدو كونه حبا جاهليا، ذلكم الذي قال فيه مجنونهم في اعتراض سافر على الله تعالى:

جنت نفسي فقد كثرت ذنوبي
زيارتها فإني لا أتوب

أتوب إليك يارحمن مما
وأما من هوى ليلي وتركي

عباد الله:

إن الإسلام أعطى كلمة الحب مفهومات واسعة جداً يأتي في مقدمتها:

1- أن تحب الله جل جلاله الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية والرشاد، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: 165)

إن محبة الله أيها الناس هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون، وإليها يشمر العاملون، محبة الله هي قوت القلوب، وقررة العيون، وغذاء الأرواح، وهي الحياة التي من حُرْمها فهو في عداد الموتى.

ومن علامات حب الله: الأُنس بمناجاته، وحب كل ما يُحِبُّه، والخلوة به، وتلاوة كتابه. عن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَحْتَمُّ بِقُلِّهِ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: «لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» (رواه البخاري)

ولقد ملأ هذا الحب قلب رسول الله ﷺ، فكان يجد لذته وراحته في الوقوف بين يدي خالقه، فقام حتى تورمت قدماه. روى البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «لَمْ تَصْنَعْ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» قَالَ: «أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»

وكان إذا رَكَعَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعْتُ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمَعْيِي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي». وإذا سَجَدَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدْتُ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» (رواه مسلم عن علي بن أبي طالب)

2- ثم بعد حب الله، يأتي حب رسوله ﷺ، وحب ما جاء به من شريعة وسنة، وهو القائل عليه الصلاة والسلام:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (رواه البخاري عن انس)

نعم، تحب رسول الله الذي جاءك بهذا الدين القويم، الذي يحقق لك سعادة الدارين.

إخوة الإسلام:

إن محبة الله ومحبة رسوله دليل الإيمان، وصاحبها موعود بأن يكون مع محبوبه يوم القيامة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟» قال: «وَيْلَكَ، وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟» قال: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» قال: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ» فقلنا: «وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟» قال: «نَعَمْ» ففَرَحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا... الحديث (رواه البخاري)

3- ثم بعد حب الله ورسوله، يأتي حب الصحابة، الذين بذلوا كل غال ورخيص، ونفس ونفيس، أولئك الأبطال الذين قدموا تضحيات جسام من أجل نصرة هذا الدين العظيم، فنحن نحب هؤلاء الرجال العظاماء، لأن حبهم دين وإيمان وإحسان، كما أن بغضهم كفر ونفاق وطغيان، كما قال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته.

4- وأن تحب كذلك إخوانك المؤمنين الذين تلتقي معهم في كثير من القواسم المشتركة، تحبهم في الله ولله، لا لأي غرض آخر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 71) ومن دعاء المؤمنين الصادقين كما سجل كتاب الله عنهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: 10)

ومن ثمار هذه المحبة في الدنيا بذل التناصح والتواصي بالحق، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن فوائدها الأخروية ما جاء في هذا الحديث: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ بَجَلَالِي، الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا لِي» (رواه مسلم)

إن الإسلام أيها الإخوة يحث أتباعه على الحب وتوثيق أواصر الود بين العباد، ونبذ الغل والغش والحسد والكرهية والبغضاء، التي غدت سمة في علاقات الناس مع الأسف، ولعل أسباب ذلك ترجع إلى قانون مستنبط من قوله تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: 14)

فكل تقصير في حق الله وكل مخالفة لمنهج الله تعكس فيما بين الناس عداوة وبغضاء، وهي تسحق الدين سحقاً والعياذ بالله. وعن عبد الله بن الزبير، قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ ذَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: تَخْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلِقُ الدِّينَ» (الألباني - صحيح الترغيب)

5- من أصناف الحب المحمود في شرع الله، أن تحب أيضاً رحمتك، وفي مقدمة الرحم والداك اللذان كانا سبباً في وجودك، وأن تعرف حقهم العظيم عليك.

أيها الناس:

إن بر الوالدين من أعظم شعائر الدين، قضى به ربنا عز وجل، فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: 23-24)

كما قرن شكره بشكرهما في قوله: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: 14)

6- وأن تحب كذلك أسرتك التي جعل الله بينك وبينها المودة والرحمة، امثالاً لأمر الله تعالى، واقتداءً بهدي رسول الله القائل، كما جاء في حديث ابن عباس: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (أخرجه ابن ماجه)

وعن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ، بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟» قال: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: «مَنْ الرِّجَالُ؟» فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: «تُمْ مَنْ؟» قَالَ: «تُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» «فَعَدَّ رِجَالًا» (رواه البخاري)

إن الحب بين الزوجين متى ما كان صادقاً كان متماسكاً حتى في حال الغضب والمغاضبة، يقول النبي ﷺ لحبيبتة عائشة رضي الله عنها: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَيْ رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضْبِي» قالت: فَقُلْتُ: «مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟» فقال: «أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَيْ رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضْبِي، قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قالت: «قُلْتُ: أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا إِسْمَكَ» (رواه البخاري عن عائشة)

فتأملوا هذه الرقة والأدب والعدوية في كلمات تحفظ الحب والإحترام اللذين يجب أن تحظى بهما كل الأسر المسلمة في زمن كثر فيه الشقاق بين الأزواج، وسوء الأخلاق.

7- ثم بعد ذلك تأتي بقية المحبوبات التي فطر الله الناس عليها، وهي دائرة واسعة عندنا في الإسلام.

أبها الإخوة الكرام:

لقد حث ديننا الإسلامي على أسباب وتصرفات تغرس المحبة في النفوس، وهي أسباب كثيرة، منها ما دلت عليه النصوص النبوية التالية، مثل قوله ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا» (رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة) وقال: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَ أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» (رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري) «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (رواه البخاري عن أبي هريرة)

وقال: «وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» (أخرجه الترمذي عن أبي ذر) ومن أسباب المحبة أيضا: التهئة بالمسرات، والبشارة بالمحوبات، و تبادل الزيارات بين الإخوة، وعيادة المرضى. يقول ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمَشَاكَ وَتَبَوَّاتٍ مِنَ الْجَنَّةِ مَنَزَلًا» (رواه الترمذي عن أبي هريرة)

وكذا إفشاء السلام، يقول ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (رواه مسلم عن أبي هريرة)

ومن العوامل التي تغرس الحب بين المسلمين كذلك: تنفيس الكروب، وستر العيوب، وقضاء حوائج الناس، وإدخال السرور على قلوبهم. يقول ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (رواه مسلم عن أبي هريرة)